القرآنيّة
في نهج البلاغة

Quranicism in the Road of Eloquence **Nahj Albalagha**

م. م. علي ذياب محي العبادي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

Asst. Lecturer Ali Thiab Mohi Al-`Abadi
University of Karbala
College of Education for Humanities
Department of Arabics

... ملخص البحث ...

كان القرآن الكريم نصاً ذا تأثير خاص في الحياة التي زامنت نزوله وتلته حتى يومنا الحاضر، وسيبقى تأثيره مستمراً، وذلك لأنه ليس كتاباً سماوياً مقدساً، ولا لأنه كتاب المسلمين الذين يشكلون نسبة عالية من نفوس الأرضيين، ولكن لأنه نصّ فاعل ومؤثر ومرجعية لنصوص ونظريات ومقولات كانت وما زال بعضها متداولاً ونعيش بحضوره.

ومن بين تأثيرات هذا النص المعجز ببنائه ودلالاته وإشاراته ومضامينه، تأثيره في نصوص المؤلفين ولا سيما الأدباء وأهل الإبداع؛ ولأهميته هذه شكّل مرجعية دلالية ومفهومية لكثير من مداليل تداولاتنا النصية والنقدية .

ومن بين المؤلفات التي تأثرت تأثيراً عميقاً بالقرآن كتاب (نهج البلاغة) للامام علي بن أبي طالب عليه السلام. لذا ارتأى الباحث الوقوف عند تلك النصوص التي شكّلت مرتكزاً أساسياً من كتاب أمير المؤمنين حتى غدا مرجعاً مهماً من مراجع المسلمين بعد كتاب الله الجليل. وبعد أن أصبحت (القرآنية) مصطلحاً يطلق على هكذا دراسات، رغب الباحث بدراسة (القرآنية في نهج البلاغة) مقدماً لهذه الدراسة بتمهيد وضح فيه مفهوم القرآنية من وجهة نظر واضعها، والأسباب التي دعت لوضعها، ثم وضع آلية للقرآنية في نهج البلاغة والتي تتناسب مع الدراسة التي نتأملها وكانت على ثلاثة مباحث:

عالج المبحث الأول: القرآنية المباشرة غير المحورة. فيما عالج المبحث الثاني: القرآنية المباشرة المحورة. أما المبحث الثالث فكان : القرآنية غير المباشرة المحورة .

وبعد ذلك ختم البحث بأهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

وأخيرا نرجو من الله أن يتقبل منا هذا الجهد اليسير فهو مولانا ونعم النصير، و(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

...Abstract...

Until quite recently the Glorious Quran has been influencing life as it descended . For not only is it a sacred and divine book, or a text for the majority of population on the earth, but it is an influential and effective text and source for multiplex papers, theories and speeches that have been in circulation we do live under the shade of such a sense.

It is quite evident for the impact of such a text whose marvelous structures, references, allusions and content strike deep roots in the texts of authors, in particular, the littérateurs and the creative. For such importance it takes hold of being a referential and knowledge source to many a reference of our textual and critical sources.

One of much falls under the spell of the Quran and surges into being as the Road of Eloquence for Imam Ali Ibnabitalib (Peace be upon him) ,so the researcher deems that it is necessary to explicate the texts that are regarded as the cornerstone in the book of the commander of the believers as it grows momentum and an essential and second–rate source for the Muslims after the Quran. Then, the concept of Quranicism comes to the fore to have all the studies dealing with such a scope. The researcher decides to tackle Quranicism in the Road of Eloquence with an introduction clarifying the concept of Quranicism , as suggested by its pioneers , its reasons to emerge .Then he propounds a procedure for Quranicism in the Road of Eloquence coming in line with the whole study that consists of three sections: the first deals with the direct and unpermeated Quranicism; the second manipulates the direct permeated Quranicism; the final deals with indirect permeated Quranicism. Last , a conclusion covers all the essential results the researcher terminates at .

May Allah accept such modest efforts.

It is He Who is our Lord and the Best to help.

Praise be to Allah Who hath guided us

To this felicity. never

Could we have found

Guidance. had it not been

For the guidance of Allah.

... التمهيد ...

في تراثنا القديم كان الاقتباس مصطلحا خاصا بالأخذ من النص القرآني، يقول الحموي «الاقتباس هو أن يضمن كلامه كلمة من آية، أو آية من آيات كتاب الله خاصة»[١].

والذين ذهبوا إلى هذا التخصيص تركوا التضمين للحديث النبوي والشعر العربي والأنواع الأخرى من الكلام الفصيح والمأثور. أما الذين جعلوا الاقتباس خاصا بالشعر وبقية النصوص الأدبية فأشركوا الحديث النبوي الشريف والقرآن الكريم في مصطلح آخر هو التضمين، يقول القزويني: «التضمين هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»[٢].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاول بعض النقاد إدخال الأخذ من القرآن في مفهوم السرقة الأدبية من مثل ابن كناسة (ت ٢٠٧هـ) الذي كتب كتابا لم يصل إلينا بعنوان (سرقات الكميت من القرآن)[٣].

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه التوجهات بل أردت الإشارة إلى أن النص القرآني أثر في ذهنية المؤلفين كتابا وأدباء لينتج المفاهيم والمقولات إبداعية ونقدية.

ولم يقف الأمر عند القدماء بل استمر الأمر في كتابات المحدثين فحاولوا أن يرصدوا تأثير القرآن في النصوص الحديثة فأنتجوا عبارات من مثل (أثر القرآن في كذا)، وحاول بعضهم سحب هذه العبارة إلى منطقة نقدية جديدة تتعلق بنظرية

التناص التي يراد بها (العملية التي بموجبها فكك نص وانبناؤه – فكل نص هو تناص – والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى، إذ نتعرف فيها نصوص الثقافة السالفة والحالية: فكل نص ليس إلا نسيجا من استشهادات سابقة)[٤]، فعبروا عن ذلك التأثير بمصطلح (التناص القرآني).

وقد طرح الدكتور مشتاق عباس معن مصطلحا بديلا هو (القرآنية) ليكون مدعاة لتعميق فكرة استمرار تأثير ذلك النص وموازاة لمعطيات ذلك الاستمرار الأدبي بمواكبة مفاهيمية ونظرية تنسجم ومستجدات التفكير النقدي وتطور رؤاه[٥].

فالتناص يحمل حمولة فلسفية تجعل من النص الواحد تبادلي التأثير مما يوهم باحتمالية تأثر القرآن بسواه، وهو ما لا ينسجم والعقيدة الإسلامية بوصفه نصا إلهيا لا يمكن إنزاله إلى تأثيرات بشرية لأن مبانيه الانتاجية متعالية.

فضلا عن مفارقة المصطلحات القديمة لأن وظيفة النظرية الحديثة تختلف بأبعادها الفلسفية والجمالية عن الأبعاد القديمة، ففي التراث كانت النظرة معيارية أما في الحداثة وما بعدها فالنظرة تستتبع مفاهيم أخرى أهمها قصدية الانتاج.

زيادة على ذلك فإنّ المصطلحية العربية تحبّذ اختزال المصطلح في لفظ واحد، إلا إذ تعذر ذلك الاختزال[٦]. وقد عرّفت القرآنية بأنها (آلية من الآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى والنساق، بنية وإيقاعاً، بحسب سياق القرآن الكريم)[٧].

وتأتي القرآنية على ثلاثة أنماط هي:

- **القرآنية المباشرة غير المحورة:** وهي التي يأتي فيها النص القرآني مساوقاً لأصله ولا تمارس عليه تعديلات وإن جاءت فهي طفيفة لا تؤثر في صورته الأصلية.

- **القرآنية المباشرة المحورة:** وتأتي استضافة النص القرآني بعد تعديل في بنيته الأصلية بالحذف والذكر أو التقديم والتاخير أو غيرها من صور التعديل، ويكون التفات المتلقي إلى تلك المرجعية بنحو أكثر تأملا من الالتفات للاستضافة السابقة.

- **القرآنية غير المباشرة المحورة:** وفيها تغيب المحيلات الظاهرية للنص المرجع بحيث تحتاج إلى تأمل عميق من المتلقي كيما يصل إلى المرجعية النصية التي أثرت في بناء النص الجديد؛ لأن المبدع الجديد عدّل في بنية النص الأصلي المستضاف حتى غابت ملامحه الرئيسة التي تسهّل من عملية الإحالة[٨].

وحين يتوافر المؤلف على قدرة الإنتاج يبقى الإنتاج مرتكزاً على مخزون المؤلف الثقافي والمعرفي، وكلما كان ذلك المخزون ثرّاً، كان النصّ عميقاً وغني الدلالة، وكلما كان المخزون ضحلاً، كان النصّ سطحياً، ويقدّم هذا الفرض نتيجة مفادها: أن النصّ لا يولد من فراغ بل لا بدّ له من مغذّيات نصية سابقة تعرف بالمرجعيات، فمن دونها لا يمكن للمؤلف أن ينتج شيئاً.

وتستفيد نظرية الثقافة من هذا الفرض الذي أفادت منه نظرية التناص لترصّد المهيمنات النصّية التي يحققها تكرار المؤثرات النصيّة السابقة ليكون تكرارها سمة راسخة تمارس سلطة على الصياغة والدلالة والألفاظ.

وتبعاً لهذا التصوّر الذي قدّمته نظرية التناص والنظرية الثقافية الساندة يمكننا استبطان نصوص نهج البلاغة لمتابعة مرجعية النصّ القرآني الذي شكّل سلطة مهيمنة على النصوص التي أنتجت بعد نزوله فكان ذلك مدعاة لتأسيس جملة من المفاهيم والمصطلحات التي أشرنا إليها في مستهل هذا البحث في التراث والنظرية النقدية العربية المعاصرة.

وسنقف هنا عند المصطلح المعاصر الذي يناقش تاثير النص القرآني في النصوص الأخرى وفقاً لنظريتي التناص والثقافة،أعني به (القرآنية) وفقاً لأنماطها الثلاثة:

المبحث الأول

النمط الأول

القرآنية المباشرة غير المحورة

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (فسوّى منه سَبعَ سمَواتٍ، جعل سُفلاهُنَّ مَوجاً مَكفوفاً، وَعُلياهُنَّ سَقفاً مَحفوظاً وسَمكاً مَرفوعاً. بغيرِ عَمَدٍ يَدعَمُها، ولا دِسارٍ يَنظِمُها. ثُمَّ زَيَّنَها بزينةِ الكَواكِبِ، وضياءِ الثَّواقِبِ، وأجرى فِيها سراجاً مُستَطيراً، وَقَمَراً مُنيراً، في فَلَكٍ دائرٍ، وَسَقفٍ سائرٍ، وَرقيمٍ مَائرٍ، ثُمَّ فَتَقَ مَا بَينَ السَمواتِ العُلا، فَملأهُنَّ أطواراً مِنَ مَلائكَتِه، مِنهُم سُجُودٌ لا يَرْكَعونَ، وَركوعٌ لا يَنصتونَ، وَصافُّونَ لا يَتَزايلونَ وَمُسَبِّحُونَ لا يسأمُونَ. لا يغشاهُم نَومُ العُيُونِ، ولا سَهوُ العُقُولِ، وَلا فَترَةُ الأبدانِ، ولا غَفلَةُ النسيانِ. ومنهم أُمَناءُ على وَحيِه، وَلسِنَةٌ الى رُسُلِه، وَمُختَلفونَ بِقَضائِه وَأَمرِه. وَمِنهُم الحَفَظَةُ لِعبَادِه، والسَدَنَةُ لأبوابِ جِنانِه. وَمِنهُم الثَّبَتَةُ في الأرضِينَ السُّفلى أقدامُهُم، والمارِقَةُ مِنَ السَّماءِ العليا أعناقُهُم، والخارجَةُ مِنَ الأقطارِ أركانُهُم، والمُناسِبَةُ لِقَوائِمِ العَرشِ أكنافُهُم ناكِسَةٌ دونه أبصارهم)[٩].

يزخر هذا المقطع بالقرآنيات المباشرة غير المحورة،إذ وضع الإمام عليه السلام مجموعة من الآيات القرآنية مع تعديل يسير أو من دون تعديل في نصّه لتحيل المتلقي إلى حقائق ربانية في تكوين الكون وتنظيمه وبثّ الحياة فيه.

فسوّى منه سبع سموات إحالة إلى قوله تعالى ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ وقوله عليه السلام: (**وعلياهن سقفاً محفوظاً. وسَمكاً مَرفوعاً. بِغيرِ عَمَدٍ يدعمها**) إحالة إلى كثير من الآيات التي تتحدث عن خلقة السموات وترتيبها بلا عمد كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[١٠].

وكذلك بقية جمل قول الإمام عليه السلام في النص السابق فإنها تحيل إلى آيات بعينها من مثل:

- بزينة الكواكب = ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ﴾[١١].
- قمرا منيرا = ﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾[١٢].
- فتق... السموات = ﴿أَ وَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ﴾[١٣].
- الملائكة الراكعون والساجدون = ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٤].

ومن النصوص التي وردت في نهج البلاغة وهي مبنية على المرجعية القرآنية بنحو كلّي أوجزئي قوله: (**فاستروا ببيوتِكُم، وَأَصلِحوا ذَاتَ بينِكُم**)[١٥]، فإنها تحيل المتلقي مباشرة إلى قوله تعالى ﴿وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾[١٦]، من دون كدّ ذهن.

ويقرب من هذا الاستدعاء المباشر الذي يحضر في ذهن المتلقي حالما يقرأ قول الإمام: (**أرضيتم بِالحَياةِ الدُنيا من الآخِرَةِ عوضا**)[١٧] فإن المتلقي يستدعي بنحو

مباشر قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[١٨].

ولا يختلف قوله عليه السلام: (**أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال**)[١٩] عن التضمينات السابقة، فاستدعاء مرجعيتها القرآنية واضح يتلخص بقوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٠].

وحين يرد تعديل يسير على اللفظ بالحذف أو الزيادة أو بأية آلية من آليات الاشتقاق داخل التركيب الكلي للنص المستضاف يبقى في حدود الإحالة الواضحة التي لا تحتاج إلى كدّ ذهن في عملية الاستحضار، فلفظة (أخذة) في نصّ الإمام عليه السلام الذي قال فيه: (**وأخذة العزيز المقتدر**)[٢١] معدّلة عن المصدر (أخذ) في قوله تعالى: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٢٢]، يضاف إلى ذلك تعريف المنكرين (عزيز ومقتدر) في النص المضيف. فهذا التعديل اليسير لم يجعل من القرآنية هنا غير مباشرة كما لم يدخلها في المحورة وفقاً لتوصيفات كل نمط. أما الجمع بين عبارتين مقتطعتين في سياق واحد يجعل منهما موضعا بعد أن كانا موضعين في النص المرجع، لا يضرّ أيضاً في كونهما من نمط القرآنية المباشرة غير المحورة؛ لأن خصيصة الاستدعاء السريع، ووضوح الرابطة بين النصين كفيلان بجعلهما من هذا النمط.

ويدخل قول الإمام عليه السلام: (**فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟**)[٢٣] ضمن هذا الاستدعاء فالاستفهام الاستنكاري الأول (أين تذهبون؟) يحيل على قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[٢٤]، وكذلك الاستفهام الاستنكاري الثاني (أنى تؤفكون؟) فإنه يحيل على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ

﴿مِنَ الْحَيِّ ذٰلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[٢٥]، وقد شكل النصان القرآنيان قرآنية مباشرة الاستدعاء على الرغم من أنهما لم يردا في سياق واحد.

وجاءت الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ خاتمة لمقطع من نص الإمام عليه السلام جاء فيه (**اشترى هذا المغتر بالأمل، من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار، بالخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة، فما أدرك هذا المشتري في ما اشترى منه من درك، فعلى مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراعنة، مثل كسرى وقيصر، وتبع وحمير، ومنهم جمع المال على المال فأكثر، وبنى وشيّد وزخرف، ونجَّد وادَّخر، واعتقد ونظر بزعمه للولد – اشخاصهم جميعاً الى موقف العرض والحساب، وموضع الثواب والعقاب، اذا وقع الأمر بفصل القضاء (وخسر هنالك المبطلون)**)[٢٦].

وشكّل هذا الختام قفلا دلالياً لاتكاء النص على القرآن أولاً، ولتعميق مقبوليته كونه موثوق القول من جهتي القائل والمرجع.

وكان هذا الأسلوب نسقاً لمجموعة من النصوص التي قالها الإمام عليه السلام ولاسيما القصيرة منها، إذ كان يختم النص بآية قرآنية من دون تعديل في الأخذ لتثبيت الأمرين اللذين ذكرناهما في توصيف النص السابق.

إذ جاءت الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ﴾[٢٧] خاتماً لقوله عليه السلام: (**اللهم اليك أفضت القلوب، ومدت الأعناق، وشخصت الأبصار، ونقلت الأعناق، وأنضيت الأبدان، اللهم قد صرَّح مكنون الشَّنان، وجاشت مراجل الأضغان، اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا. وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين)**)[٢٨].

المبحث الثاني

النمط الثاني

القرآنية المباشرة المحورة

من الأساليب التي اعتمدها الإمام عليه السلام في تضمين الآيات القرآنية داخل نصّه هي التقديم والتأخير، ففي آي الذكر الحكيم يقول البارئ جل وعلا: ﴿خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٢٩]، لكننا حين نرجع إلى نصّ الخطبة في نهج البلاغة نجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **(نحمده على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وابتلى. الباطن لكل خفية، الحاضر لكل سريرة، العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون)**[٣٠] ففي ذيل النص نجد الآتي:

- الصدور مقدمة في حين جاءت في القرآن مؤخرة.
- العيون مؤخرة في حين جاءت في القرآن مقدمة.

وهذا الأمر مما يستدعيه السياق العام للنص، فذيل المقطع السابق ذكره مسبوق بعبارتين هما:

- الباطن لكل خفية
- الظاهر لكل سريرة

ومن المنطقي أن ينسجم خفية الصدور مع (الباطن) وخيانة العيون الملموسة مع (الظاهر)، أما في سياق الآية فكان الحديث عن عموم علم الله بالأشياء ومن المنطقي أيضا أن نبدأ بالماديات الملموسة وننتهي بالمخفيات غير الملموسة، فكان البدء بالأعين والانتهاء بالصدور، وهو أسلوب دارج في الصياغة القرآنية[٣١].

ومن الأساليب الخاصة بنصوص الإمام عليه السلام التي من خلالها يعدّل في بنية النص المأخوذ، هي تكثيف النص وجعل محورية الدلالة منطلقة من القرآنية وعائدة إليها، بحيث لا يمكن فهم إشارتها من دون العودة إلى المرجعية القرآنية.

ولم يكن ذلك البناء مركوزا في نمط واحد بل تنوعت أنماطه فمرة تأتي القرآنية في مستهلّ النص المكثّف، ومرة يأتي في ذيله.

ففي قوله عليه السلام: (**ألا وان الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي، ولا لبس علي. وآيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لايصدرون عنه ولا يعودون إليه**)[٣٢] جاءت القرآنية في مستهل النصّ، إذ تحيل ألفاظه ودلالالته إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[٣٣]. فحركة الخلق موكولة إلى مستوى مقاومته لضغوط الشيطان واتباعه، فمن استسلم كان من حزبه، ومن خرج عن ربقته لم يكن منهم.

أما قوله تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾[٣٤]، فجاءت إشاراته وبعض ألفاظه الدالة مركوزة في ذيل قول الإمام عليه السلام: (**تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك. تد في الأرض قدمك. ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه**)[٣٥].

ولهذا التأخير مقصديته الدالّة، فنهاية أعمالنا وسلوكياتنا وكل ما يصدر منا موكول إلى مشيئة الله، فكل مخططاتنا وسعينا إن لم يتوافق مع المشيئة الربانية لم ينفعنا ذلك، فكان النصر منه حتما وتأكيداً.

ومن خصائص القرآنية غير المباشرة المحورة أنها تأتي في مقدمات الخطب في نهج البلاغة بوصفها مستوى من مستويات تهيأة المتلقي لاستقبال النص لاحتضانه قدسية عليا، ولتطعيم بنيات تراكيبه بصياغات مقطوعة ببراعة بلاغتها وفصاحتها مع إضافة تعديل يؤكد براعة المؤلف الجديد.

ومن ذلك استهلال الإمام عليه السلام خطبته الخامسة والأربعين بقوله: (**الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلو من نعمته،ولا مأيوس من مغفرته، ولا مستنكف عن عبادته، ولا تفقد له نعمة، والدنيا دار مني لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضرة، وقد عجلت للطالب، والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ**)[٣٦].

فمستهل هذه الخطبة يحيل المتلقي إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٣٧].

ولا يختلف قوله عليه السلام في الخطبة الثامنة والأربعين عن هذا السمت إذ قاربه بقوله عليه السلام: (**الحمد لله كلما وقب ليل وغسق، والحمد لله كلما لاح نجم وخفق، والحمد لله غير مفقود الأنعام، ولا مكافأ الأفضال أما بعد**)[٣٨]. إذ يحيل مستهل هذه الخطبة إلى قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ**﴾[٣٩].

ولم يكن التعديل في النص المأخوذ لصهره في بنية النص الآخذ عبارة عن مجموعة من الكلمات بل يصل اختزال الأخذ لدرجة الاكتفاء بلفظ أولفظين؛ ليحافظ بهذا القدر على صلته بالقرآن، ويعمّق ارتباطه ببنية النص الجديد المتضمن له.

فقد جاءت لفظة (الحسنيين) إشارة لارتباط قوله عليه السلام: (**وكذلك المرء المسلم، البريء من الخيانة، ينتظر من الله احدى الحسنيين**)[٤٠] بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾[٤١].

أما لفظا (لسان صدق) التي وردت في قوله عليه السلام: (**أيها الناس انه لايستغني الرجل، وان كان ذا مال، عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألّمهم لشعثه، وأعطفهم عليه، عند نازلة اذا نزلت به ولسان صدق، يجعله الله للمرء في الناس، خير له من المال يورثه غيره**)[٤٢] فيحيلان على قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[٤٣].

وجاء لفظا (شقيها وسعيدها) الواردان في القرآن الكريم متعاطفين في قول الإمام عليه السلام: (**اللهم داحي المدحوحات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها**)[٤٤] للإحالة إلى دلالة الآيتين اللتين ورد فيها اللفظان وربطهما بدلالة النص الآخذ.

ولو رجعنا إلى السياق الآيات اللواتي استثمر منها لفظا أو لفظين فقط على أعلى التقادير لوجدنا أن الأمر يكمن في زيادة ربط الدلالتين القديمة والجديدة برباط وثيق لتحصيل دلالة ثالثة مضافة هي ناتج جمع دلالة النص القديم والحديث.

المبحث الثالث

النمط الثالث

القرآنية غير المباشرة المحورة

حين يتم تعديل النص المستضاف في بنية النص المضيف بنحو الحذف الكثير أو التعديل الاشتقاقي بحيث يصعب الاستدعاء من دون تأمل، وحين تترجح أكثر من مرجعية للنص بسبب المذكور في السطر السابق، لا يكون الأخذ هنا أخذا مباشرا أو مباشراً محوراً؛ لأن تغييب المرجعية والتعديل البالغ في النص المأخوذ يؤكد هذا الاستبعاد.

ففي قول الإمام عليه السلام: (**أما بعد: فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وان الآخرة قد أقبلت وأشرقت باطلاع، ألا وان اليوم المضمار، وغدا السباق**)[٤٥] يستدعي أكثر من مرجعية للنص بعضها قرآني بحكم المضمون السياق من مثل ﴿**وَالسَّابِقُونَ**﴾[٤٦] و ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾[٤٧] وغيرها من الآيات التي تتعلق بالأمر الأخروي، وفيه مركز الفعل مشتقاً من الجذر (سبق). فهذه الصياغة تجعل من انتماء هذا الأخذ إلى القرآنية غير المباشرة المحورة، لتحقيق وظيفة دلالية قوامها احتواء الدلالات المتضمنة في الآيات المحتملة في مرجعية هذا النص؛ ليكون مغزى هذا البناء توسع الدلالة.

ولعل زيادة التغييب واحتمالية المرجعية غير القرآنية أكثر تأكيداً لتحقق نمط القرآنية غير المباشرة المحورة،كما في قول الإمام عليه السلام: **(وضرب على قلبه بالأسداد)**[٤٨].

فليس من الضروري أن يستدعي هذا النص آية قرآنية، لكن التأمل في النص وربط علاماته وما يريده من مغازي دلالية تسحب المتلقي الفطن إلى أجواء القرآن الكريم.

وقد أحال الشيخ محمد عبده رحمه الله شارح نهج البلاغة هذا النص إلى آية مباركة بقوله: ﴿وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ ألأسداد جمع سد: يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد. ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أي حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة[٤٩].

وما يدعم توجيه الشيخ هيمنة النص القرآني على نهج البلاغة وتشكيله سلطة موجهة لقول الإمام لا بوصفه قارئاً متأثراً بالقرآن فحسب بل لأنه مكلّف بترسيخ تعاليمه في المجتمع بوصفه خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وآله . لذا فتوجيه الشيخ رحمه الله راجح بحكم ما ذكرناه، وبحكم تأديته التفسير المقنع للقارئ.

... خاتمة البحث ...

وفي نهاية المطاف نذكر أهم النتائج التي توصّل اليها البحث وهي:

١. قدّم البحث محاولة تطبيقية للمزاوجة بين آليات النقد القديم والحديث وما يتلازم معهما من مصطلحات ومفاهيم من خلال تحليل نصّ قديم برؤية حديثة.

٢. حاول البحث الكشف عن مرجعيات النص المدروس (نهج البلاغة) فتوقف عند (القرآن الكريم) بوصفه النص الأكثر تأثيراً في النتاجات التي جاءت بعد نزوله ولاسيّما نص النهج، فتأكد من خلال البحث أنه كان مرجعية رئيسة في بنائه وصيغة دلالاته.

٣. اعتمد البحث على آلية (القرآنية) بوصفها آلية نقدية حديثة لتحليل النصوص والكشف عن دلالاتها، والتزم بتقنياتها الثلاث: المباشرة غير المحورة، المباشرة المحورة، غير المباشرة المحورة؛ ليكون البحث مادة تطبيقية ابتداءً بالمفهوم وانتهاءً بالأنماط.

٤. خرج البحث بنتيجة مهمة: أن أكثر أنماط القرآنية وروداً في نصوص النهج هي (القرآنية المباشرة غير المحورة)؛ لأن النص كان توجيهياً تثقيفياً لمجتمع اسلامي يحتاج لالزامه بالتوجيه الى أدلة وبراهين مقدّسة ومحترمة، وليس كالقرآن نصّ مقدّس في اعتقاد المسلمين، ولما كانت التقنيتان الأخريان(المباشرة المحورة

وغير المباشرة المحورة) تقلل من مستوى ربط المتلقي مباشرة بالقرآن، استعان الامام عليه السلام بالمباشرة غير المحورة لتقوية مستوى الارتباط.

.....

١) خزانة الأدب: ٢/ ٤٥٥.

٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٠٦.

٣) الفهرست لابن النديم: نقلا عن كتاب تأصيل النص: د. مشتاق عباس معن: ١٦٩

٤) دراسة في تعريب بعض المصطلحات (نظرية النص): د. محمد خير البقاعي: ٥٠، وينظر القرآنية في شعر محمد حسين آل ياسين: د. مشتاق عباس معن من كتاب تأصيل النص: ١٧١.

٥) لقد فعّل هذا المصطلح في كثير من الدراسات الأدبية على مستوى الدراسة الأكاديمية من مثل رسالة الماجستير إحسان محمد جواد الموسومة بـ (القرآنية في شعر الرواد) جامعة القادسية / كلية الآداب قسم اللغة العربية بإشراف: أ.د. إبتسام مرهون الصفار سنة ٢٠٠٠ وبحث الأستاذ المساعد الدكتور علي المصلاوي بعنوان (القرآنية في علويات الشيخ صالح الكوّازالحلي) المنشور في مجلة جامعة أهل البيت / ع ٦ س ٢٠٠٨م، ودراسة دأمجد حميد عبد الله: القرآنية والوعي بالزمن:مجلة سبيل القرآنية ع١٢ س٢ ٢٠٠٨م..

٦) ينظر: تأصيل النص: د. مشتاق عباس معن / ١٥وما بعدها.

٧) المصدر السابق: ١٧٠.

٨) ينظر: القرآنية في شعر الرواد: إحسان محمد جواد: ١٠ وما بعدها.

٩) نهج البلاغة: ج١/ ٣٨- ٣٩.

١٠) الأنبياء: ٣٢.

١١) الصافات: ٦.

١٢) الفرقان: ٦١.

١٣) الأنبياء: ٣٠.

١٤) التوبة: ١١٢.

١٥) نهج البلاغة: ١/ ٧٢.
١٦) الأنفال: ١.
١٧) نهج البلاغة: ١/ ١٠٥.
١٨) التوبة: ٣٨.
١٩) نهج البلاغة: ١/ ١٦١.
٢٠) النور: ٣٥.
٢١) نهج البلاغة: ١/ ١٧٥.
٢٢) القمر: ٤٢.
٢٣) نهج البلاغة: ١/ ١٨٢.
٢٤) التكوير: ٢٦.
٢٥) الأنعام: ٩٥.
٢٦) نهج البلاغة: ٣/ ٤٩٢- ٤٩٣.
٢٧) الأعراف: ٨٩.
٢٨) نهج البلاغة: ٣/ ٥٠٤.
٢٩) غافر: ١٩.
٣٠) نهج البلاغة: ٢/ ٢٧٩.
٣١) توقّف الدكتور فاضل صالح السامرائي عند هذا الأسلوب في كتابه (التعبير القرآني)، ينظر مبحث التقديم والتأخير.
٣٢) نهج البلاغة: ١/ ٦٤.
٣٣) المائدة: ٥٦.
٣٤) آل عمران: ١٢٦.
٣٥) نهج البلاغة: ١/ ٦٤- ٦٥.
٣٦) م-ن: ١/ ١١٩.
٣٧) الزمر: ٥٣.
٣٨) نهج البلاغة: ١/ ١٢١.
٣٩) الفلق: ٣.
٤٠) نهج البلاغة: ١/ ٨٢.

٤١) التوبة / ٥٢.
٤٢) نهج البلاغة: ١/ ٨٢-٨٣.
٤٣) مريم: ٥٠.
٤٤) نهج البلاغة: ١/ ١٤٦.
٤٥) م-ن: ١/ ٩٣.
٤٦) التوبة: ١٠٠.
٤٧) البقرة: ١٤٨.
٤٨) نهج البلاغة: ١/ ٩٠.
٤٩) م-ن: هامش ص / ٩٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١) الإيضاح في علوم البلاغة – جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني – راجعه وصححه وخرج آياته: الشيخ بهيج غزاوي / دار احياء علوم التراث / ١٠٤٨هـ-١٩٨٨م.

٢) تأصيل النص: د.مشتاق عباس معن – ط١ – (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) – مركز عبادي للدراسات والنشر – صنعاء.

٣) التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي – مطابع وزارة التعليم العالي في الموصل – ١٩٨٦.

٤) خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي – المط الخيرية – القاهرة – ١٣٠٤هـ.

٥) دراسة في بعض المصطلحات (نظرية النص): د. محمد خير البقاعي – مجلة (الموقف الثقافي) –: ع٨ س٢، ١٩٩٧م.

٦) الفهرست: ابن النديم – القاهرة.

٧) القرآنية في شعر الروّاد: إحسان محمد جواد – رسالة ماجستير– جامعة القادسية / كلية الآداب – ٢٠٠٠م.

٨) القرآنية في شعر محمد حسين آل ياسين: د. مشتاق عباس معن _ مجلة الآداب – كلية الآداب – جامعة بغداد – ٢٠٠٦م.

٩) القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي: د. علي كاظم المصلاوي – مجلة جامعة أهل البيت – ع٦س ٢٠٠٨م.

١٠) نهج البلاغة: الامام علي بن أبي طالب عليه السلام – شرح الشيخ محمد عبدة – خرّج مصادره الشيخ الأعلمي – ط١ – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.